المقدس والدنيوي في حكايات الطفيليين

بحث في المرجعيات والوظائف

أ.م.د نورس إبراهيم عبد الهادي

جامعة كربلاء – كلية العلوم الإسلامية

الكلمات المفتاحية : المقدس، الدنيوي، حكايات، الطفيليين، المرجعيات، الوظائف

ملخص البحث

للمقدس سطوته وهيمنته على نفوس الناس منذ القدم، وفي المجتمعات كافة، فلا تكاد تخلو منه أمة من الأمم. وغالبا ما يرتبط المقدس بالدين، فلا وجود لأحدهما دون الآخر. وبالنسبة للمسلمين يمثل القرآن الكريم أعلى درجات القداسة، بوصفه كلام الله تعالى ؛ لذلك نجد أن إضفاء المقدس متمثلا بالقرآن الكريم على أمور دنيوية، يكتسب أهمية كبيرة ؛ لأنه يحيطها بهالة من الحصانة والمناعة، وهذا ما جعله مادة ثرية تستعمل لإضفاء المشروعية على الأعمال غير المشروعة، وأحيانا غير الأخلاقية .

من هذا المنطلق، وبما ان فئة الطفيليين تُعدُّ من الفئات الهامشية في التراث العربي، فمن البديهي أن يلجأ الطفيلي الى وسائل مختلفة كي يحظى بالقبول من المجتمع الذي يزدريه ويرفضه؛ لذلك لن يجد الطفيلي سلاحا أمضى لتحقيق أهدافه من توظيف القرآن الكريم كمرجع غاية في الأهمية، وكآليةٍ حجاجيةٍ يواجه بها هذا المنع والحجب، لإسباغ المشروعية على ما يقوم به من أفعال مرفوضة اجتماعيا وأخلاقيا، معتمدا على سلطة النص الديني وعصمته من الطعن . وقد نجح الطفيلي في ذلك، فقد تمكن الطفيلي بوساطة التفكيك والتركيب من تكوين وحدة من عنصرين ودمجهما في بنية واحدة، أي الجمع بين المقدس والدنيوي في مقام واحد، حيث يغدوالمقدس متمثلا بالقرآن الكريم وسيلة غايته الدنيوي المتمثل بعالم التطفيل والأكل، فضلا عن ذلك عكس لنا هذا التوظيف القرآني عالم الطفيليين وطريقة عيشهم وتفكيرهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنار بصيرتنا بنور العلم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وآله الطاهرين .

أما بعد،

فإن المقدس يُعدُّ فضاءً واسعا يتنوع بتنوع الشعوب والثقافات، وهوظاهرة قديمة تحفر عميقا في المتخيل الجمعي للأمم، وتختلف صور هذا المقدس من مجتمع الى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى. إلا أن ذكر المقدس غالبا ما يرتبط بالدين، فلا وجود لأحدهما دون الآخر، إذ يمارس المقدس من خلاله هيبته واستحواذه على نفوس الناس. وبالنسبة للمسلمين يمثل القرآن الكريم أعلى درجات القداسة، بوصفه كلام الله تعالى، لذلك نجد أن إضفاء

المقدس متمثلا بالقرآن الكريم على أمور دنيوية، يكتسب أهمية كبيرة؛ لأنه يحيطها بهالة من الحصانة والمناعة، وهذا ما جعله مادة ثرية تستعمل لإضفاء المشروعية على الأعمال غير المشروعة، وأحيانا غير الأخلاقية .

من هذا المنطلق، وبما أن فئة الطفيليين تُعدُّ من الفئات الهامشية في التراث العربي، فمن البديهي أن يلجأ الطفيلي إلى وسائل مختلفة كي يحظى بالقبول من المجتمع الذي يزدريه ويرفضه؛ لذلك لن يجد الطفيلي سلاحا أمضى لتحقيق أهدافه من توظيف القرآن الكريم كمرجع غاية في الأهمية، وكآلية حجاجية يواجه بها هذا المنع والحجب، لأسباغ المشروعية على ما يقوم به من أفعال مرفوضة اجتماعيا وأخلاقيا، معتمدا على سلطة النص الديني وعصمته من الطعن .

إنّ الحكايات التي وظفّ فيها الطفيليون القرآن الكريم، جاءت على شكل نوادر، والنادرة جنس أدبي هامشي قد احتضن خطاب هذه الفئة الهامشية الذي يحمل نقدا ورفضا، بل احتجاجا على الوضع القائم آنذاك، وقد امتاز بالجرأة، وضرب الأعراف والقيم، والاستخفاف بكل ما هو مقدس أوقار في المتخيل الجمعي لذا، فهذه الحكايات قد تدفع المتلقي الى الضحك الناشئ عن نزع القداسة، عندما يرى السياق القرآني المقدس وقد أندمج في سياق دنيوي متمثل بالطعام .

إنّ الجمع بين هذين العالمين المتباعدين في سياق واحد هو ما حاولتُ الخوض فيه، ودراسته في هذا البحث الذي قسمتهُ على تمهيد وثلاثة محاور، تعقبهم خاتمة، ومن ثم قائمة بالمصادر والمراجع .

جاء **التمهيد** بعنوان **(التطفيل لغة واصطلاحا)**، عرضت فيه مفهوم التطفيل لغة واصطلاحا، والتطور الذي وصل إليه هذا المصطلح.

تضمن **المحور الأول**، تسليط الضوء على **(مرجعيات الطفيلي الثقافية)** التي استعان بها لدعم مذهبه في التطفيل، فقد خلق الطفيلي عالما مرجعيا خاصا به، يتصف بالتعدد، فمراجعه غير واحدة، بل تتنوع من خلال التناص مع الأجناس العربية القديمة كالدعاء، والشعر، والوصايا، فضلا عن الحديث النبوي.

وبما أن الهدف الأساسي من هذا البحث، دراسة توظيف المقدس في ما هو دنيوي، فقد خصصتُ **المحور الثاني (وظائف النص المقدس "القرآن" في خطابات الطفيليين)**، لدراسة توظيف الطفيليين للقرآن الكريم في حكاياتهم باعتماد تقنيتي التفكيك والتركيب .

وفي **المحور الثالث** الذي حمل عنوان **(ملامح من عالم الطفيليين الدنيوي من خلال توظيف المقدس "القرآن")** يمكننا ان نستشف ملامح من عالم الطفيليين الدنيوي من خلال نقوش خواتمهم أولا، فضلا عن كيفية تفسيرهم للنص القرآني .

وقد ارتأيت أن أتبع منهجا قائما على عرض مرجعيات الطفيلي الثقافية أولا قبل الخوض في توظيفه للنص القرآني – وهو بلا شك المحور الأساس الذي قام عليه البحث– إذ قد يتيح هذا العرض رؤية أكثر شمولية، لفهم أساليب الطفيليين وكيفية اشتغالهم على الأجناس الأدبية التراثية عامة والنص المقدس بشكل خاص .

وختاما، طالما كان توظيف القرآن الكريم في النصوص الأدبية الجادة، لكن هذا البحث أظهر جانبا آخر من هذا التوظيف، متمثلا بالنصوص الأدبية الهزلية، مما أتاح رؤى جديدة للتراث العربي ما تزال بحاجة الى دراستها .

ومن الله التوفيق

الباحثة

التمهيد: التطفيل لغة واصطلاحا

أ. لغة

التطفيل في اللغة مأخوذ من الطَفَل، وهوإقبال الليل على النهار بظلمته،" **طَفَلَت الشّمس تطفُلُ طُفُولا وطَفّلت تطفيلا : همّت بالوجوب ودنت للغروب . وتطفيل الشمس : ميلها للغروب، .. وطفَّل الليل: دنا وأقبل بظلامه** "[1]. ومن ثم أطلقت هذه اللفظة على من يدخل مع القوم فيأكل طعامهم من غير أن يدعى، قال الأصمعي، الطفيلي "**هو الذي يدخل على القوم من غير أن يدعوه، مأخوذ من الطَّفل وهو إقبال الليل على النهار بظلمته**"[2]. ويعود السبب في ذلك الى ان "**الفقير من العرب كان يدعاه.طعام الذي لم يدع إليه مستترا بالظلمة لئلا يعرف . وقيل سمي بذلك لإظلام أمره على الناس لا يدرون من دعاه . وقيل : بل هو من الطَّفل لهجومه على الناس كهجوم الليل على النهار**"[3].

والتطفيل منسوب الى طفيل، شاعر معروف، ويُسمى بـ طفيل الأعراس، وطفيل العرائس، وهو رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان، كان يأتي الولائم دون أن يدعى إليها، وكان يقول : "**وددت أن الكوفة كلها بركة مصهرجة، فلا يخفى عليّ منها شيء ، ثم سُمِّي كلُّ راشنٍ طفيليا، وصرفوا منه فعلا فقالوا طفّل**"[4]. والتطفيل من كلام أهل العراق[5].

والعرب تسمي الطفيلي " **الراشن والوارش**" [6]. وقد وردت مترادفات لكلمة الطفيلي منها : "**الطُّفيلي والوارش والواغل والأرشم والزّلال والقسقاس والنّتيل والدّامر والدَّامق والزامج واللَّعمظ واللَّعموظ والمكرم**" [7]. ويُقال للداخل على القوم وهم يطعمون ولم يدع (الوارش)، وللداخل على القوم وهم يشربون ولم يُدْعَ (الواغل)[8].

وقد ذكر الثعالبي(ت430) الأوصاف المتعلقة بكثرة الأكل وترتيبها فقال : " **إذا كان الرجل حريصا على الأكل فهو نهم وشره، فإذا زاد حرصه وجودة أكله، فهو جشع، .. فإذا كان يتتبع الأطعمة بحرص ونهم، فهو لغوس ولحوس، فإذا كان رغيب البطن كثير الأكل، فهو عيصوم، ..**" [9].

أما الشيخ بدر الدين محمد الغزي (ت984هـ) فقد أحصى جملة من المترادفات التي تتعلق بآداب المؤاكلة، وعِدَّتُها أحد وثمانون عيبا، منها الطفيلي والرّشاف والدَّفاع واللَّطَّاع وغيرها[10].

نخلص مما تقدم، أن المترادفات التي جاءت على لفظة(الطفيلي) كلها مترادفات تدور حول الولع بالطعام أو الانكباب الزائد عليه . كما يتضح من التعريف المعجمي للتطفيل والطفيلي أنه يرتكز بشكل أساس على فكرة الحضور دون دعوة .

ب. في الاصطلاح

التطفيل اصطلاحا، يطلق على من يأتي المجالس والولائم من غير أن يُدعى إليها، وهي كناية عمن يستطلع أخبار الولائم ويحضرها من دون دعوة [11].

وهذا المصطلح "التطفيل" يبدومتأخرا نسبيا في دلالته هذه الظاهرة، وهذا ما أشار اليه الجاحظ (ت255هـ) : "**قول الناس: فلان طفيلي، ليس من أصول كلام العرب ..**"[12] وأكده السيوطي (ت911هـ) فيما بعد بقوله: "**الطفيلي محدثة لا توجد في العتيق من كلام العرب**" [13]. كما ذكر الخطيب البغدادي أن: "**الطفيلي من كلام العامة**" [14]. إلا ان الإشارات تثبت بدء استعماله نسبة لطفيل بن زلال من موالي عثمان بن عفان (ت35هـ) من أبناء النصف الأول من القرن الأول للهجرة[15].

ويبدوأن دلالة الجذر (طفل) تطورت لتدل على السرقة، أو الأخذ من معاني الآخرين، نحو قول الحموي: " **ومع علو قدر الشيخ جمال الدين بن نباته[16]، وهو الذي مشت ملوك الأدب قاطبة، بعد الفاضل، تحت أعلامه، تطّفل على موائد نكت الوداعي[17] ومعانيه، وعلى الأنواع الغريبة من تواريه** "[18]. واستعمل مصطلح (تطّفل) أيضا في مواضع متفرقة من كتابه ليشير الى الأخذ من معاني الآخرين[19] .

ومن الجدير بالذكر أنّ التطفيل " نشأ منذ أن وضع الحُجّاب على الأبواب، في مختلف الولائم، في الأعراس والمآتم، أي قبل أن يخلق طفيل الاعراس"[20]. ويبدو أن اختلاط العرب بالأمم الأخرى لا سيّما الفارسية، ودخول أصناف جديدة من الأطعمة، وضعف التمسك بالتقاليد العربية في إطعام الطعام، أن وضع الحجاب على الأبواب والموائد، وهذا قد دفع طائفة من الناس وبسبب الفقر والحرمان إلى اقتحام الأبواب، ومخادعة الحجاب، في سبيل الحصول على الطعام، وقد سميت هذه الطائفة بـ الطفيليين .

وترى الباحثة فدوى مالطي دوغلاس أن هامشيتهم هذه ليس مرجعها العوز والفقر، فالإحساس بالجوع الذي يدفع بالطفيلي نحو الطعام، ليس هوالتضور جوعا أو الحرمان، بل هو البطنة والنهم. فضلا عن عدم ذكر مسألة الفقر أو العوز عند الطفيلي "في كتاب التطفيل للخطيب البغدادي"، كما لم يكن هناك بالضرورة تفرقة طبقية ملحوظة بين الطفيلي ومضيفه . بل غالبا هم أصدقاء[21].

وعلى مرِّ الزمان، وتبدل الأحوال، أضحى التطفيل صناعة وحرفة قائمة بذاتها لها أتباعها الذين لا يخجلون منها، ونصبوا عليهم رؤساء يقومون بدور الموجهين والمرشدين، وأصبح للتطفيل أنظمة وقوانين، فضلا عن ثقافة خاصة بهم، ولغة تعبر عن هويتهم[22]. وهذا ما سأحاول تسليط الضوء عليه في المحور الآتي.

المحور الأول : مرجعيات الطفيلي الثقافية

يمتاز عالم الطفيلي بتنوعه وغناه، لا سيّما ما يتصل بالجانب الثقافي منه، إذ نجد أن هذه الفئة لم تخل من مثقفين عبّروا عن همومهم وقضاياهم، وإنْ كانوا غير معروفين، في الغالب. ومن أبرز الشعراء والأدباء الطفيليين طفيل بن زلال[23]، وعثمان بن دراج[24]، وبُنان[25]. وقد ذكر الخطيب البغدادي بابا في "**ذكر من طفل من الأكابر والأشراف، وأهل العلم والأدب**"[26]، وآخر في "**أشعار الطفيليين**"[27]، وإن التفاوت الطبقي، وقلة المال هي التي جعلتهم يلجأون إلى التطفيل، غير مبالين ان كانوا من أصحاب العقل والعلم، أومن أصول شريفة، وفي ذلك يقول الشاعر[28]:

ولمّـــا رأيـــتُ النـــاسَ ضـــنّوا بمـــالهم بتي فلـم يـكُ فـيهم مـن يهـشُّ الـى الفضـل

ولـــم أرَ فـــيهم داعيـــا لابـــن فاقـــة يحِـــنُّ الـــى شُـــرب ويصـــبُوالى أكـــل

ركِبـــتُ طُفيليـــا وطوَّفـــتُ فـــيهم ولـــم أكتـــرِثْ للحُلـــم والعِلـــم والأصـــل

فالنص يثبت بما لا يقبل الشك أنّ فيهم عقلاء وعلماء ومن أصول شريفة ؛ إلا أنهم تركوا هذا جانبا واتخذوا من التطفيل شريعة ومنهاجا . كما يعكس أدب الطفيليين إلمام هذه الفئة من الناس بالشعر، وبالقول البليغ. وإذا ما تتبعنا أخبارهم فإننا نراهم يحسنون القول، ويضربون الأمثال، ويأتون بالحكم، والأقوال المأثورة[29].

إنّ العودة إلى عهود التطفيل التي رسمت للطفيليين حدود صنعتهم، وما يجب عليهم فعله كي يحضوا بالولائم، نعثر على وصايا هامة تحث الطفيليين على تعلم الأدب، وتثقيف أنفسهم كجزء مكمل من هوية الطفيلي، فقد جاء في أحد العهود:"..، **وأتقن الفنون المحتاج إليها من غناء ونجامه، وطب وشهامة، وتاريخ وأدب، وكرم أصل وحسب .. فإذا عرفوك، وحضر الجمع وكشفوك، فطرّز كل محفل بمحاسن أقوالك، وكلّل جيد كل مأدبة بجواهر أفعالك** .."[30].

تُبيِّن هذه الوصية أهم الثقافات التي يجب على الطفيلي أن يُلِّم بها، وهي تتنوع بين فنون مختلفة من غناء، وطب، وتاريخ، وأدب إلى غير لك. إن هذه الثقافات تمثل في أحدى جوانبها حيلاً مهمة للطفيلي في دخول المآدب وتغطية ما يفعله من سلوك غير لائق، باقتحامه الولائم دون دعوة، فحتى لوكشف أمره وعلم القوم أنه طفيلي، فثقافته ستسعفه في كسب الآخر وجعله يعترف به ويرحب به على المائدة كما سنبين لاحقا.

وتعد فئة الطفيليين من الفئات الهامشية في التراث العربي[31]؛ لأنها تخرق آداب الدعوة، وآداب المؤاكلة التي ينبغي أن يلتزم الفرد بها في المجتمع، لئلا ينتقد ممن حوله من الناس، فضلا عن كون هذه الآداب تمثل مظهرا من مظاهر التقاليد الحضارية، والآداب الاجتماعية الراقية التي يطمح إليها كل مجتمع يسير في طريق التطور والترقي[32]، فالشراهة، والنهم، وحب الأطعمة من أبرز سمات الطفيليين وتعد عملا قبيحا وسلوكا مرفوضا لدى علّية القوم أو الخاصة وهي من أفعال العامة. يروى ان ملوك الأعاجم " **إذا رأت الرجل نهما شرها حريصا على المطعم أخرجوه من طبقة الجد الى باب الهزل، ومن باب التعظيم الى باب الاحتقار والتصغير، وكانوا يقولون:**

من شره بين يدي الملوك الى طعام، كان الى أموال السوقة والرعية أشدَّ شرها "[33]. ومثل ذلك ما حكي عن طفيلي " **كان يحضر على طبق ابن عميد الدولة أبي منصور بن جُهير في شهر رمضان ويُضحكُه، فأمر له بشيء وحجبه عن الطبق ترفعا عن الهزل، فتأخر أياما ثم حضر، فلما رآه قال: ما موجب الحضور بعدما أمرناك به؟ قال : إذا لم يستحضرني مولانا، ولم أحضر أنا صارت وحشة، فضحك منه واستمر حضوره**"[34]. وهكذا يبدوأن الهزل والضحك قد ارتبطا ارتباطا وثيقا بالطفيليين، وبالعودة الى المدونات القديمة التي نقلت أخبار الطفيليين نجد أن شخصية الطفيلي فكهة مضحكة، وهذه الثقافة، أي ثقافة الهزل والإضحاك هي جزء من شخصية الطفيلي وهو خطاب يستعمله في سبيل إستلاب الآخرين والتأثير عليهم وجعلهم يقبلون به[35]، فهو نوع من الاحتيال الفكه الساخر. "وبقدر ما يعينه التطفل من هامشية اجتماعية وثأر فكه من حياة باذخة يعجز عنها المتطفل، فإنه سرديا يعني مشاكسة الركود والاستقرار الذي يقترن بحالات الرفاه والرضا بالذات التي تفصح عنها موائد الأعراس والولائم الكبيرة"[36].

إنّ أغلب حكايات الطفيليين جاءت على شكل نوادر، والنادرة جنس أدبي له خصائصه التي من أبرزها الهزل الذي يتجسد سردا، فضلا عن الغرابة، والطرافة، والمفارقة، والمحاكاة الساخرة وغيرها[37]. وهي تعد من الأشكال السردية الموجزة[38]. وهي فضلا عن ذلك جنس سردي هامشي؛ لأنها تحتفي بالطبقات الهامشية، وباللحن، وتعري الواقع السياسي والاجتماعي والإقتصادي[39] .

إنّ ما يميز حكايات الطفيليين هو الصراع القائم بين طرفين، الطفيلي، والآخر صاحب المأدبة أو البواب، أو المجتمع الرافض لسلوك الطفيلي . وبما أن هناك صراعا وحجبا ومنعا من جانب، واختراقا وانتهاكا لهذا الحجب والمنع من جاب آخر، فمن البديهي أن يستعين المنتهك/ الطفيلي بكل ما يملكه من مرجعيات ثقافية يوظفها لدعم حججه، أويتخذ منها إطارا يفرغ فيها حججه ومذهبه في التطفيل .

ترتكز الحجج التي تتضمنها نوادر الطفيليين على مرجعيات بلاغية متنوعة مستمدة من التراث العربي الثقافي، فقد مثّل القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والدعاء، والشعر، والوصية، فضلا عن المحاورات، والمناظرات أطرا مرجعية شكّلت مظهرا من مظاهر التناصيه، التي يحاور فيها نصٌ هزليٌ ساخرٌ نصوصاً سابقة جادة أو مقدسة، أصطلح عليها بعض الدارسين التداوليين اللسانيين بالسخرية التي تقوم على مفارقة استرجاعية/ إحالية[40]. أي إنها نصوص تعمل على دمج المفارقة والاسترجاع في وحدة، وترصد القيم الحجاجية في الخطاب الساخر وتجعلها ميزة للمفارقة الساخرة[41]. وبما ان الأطعمة أو عالم المأدبة تشكلان هوية الطفيلي بحق، فهي تقتحم تلك المرجعيات التي يستعين بها الطفيلي، لخلق عالم له لغته الخاصة، وبلاغته الخاصة .

ومن المرجعيات التراثية التي استعان الطفيلي بها، الدعاء، الذي يُعدُّ من الأساليب القديمة المعروفة عند العرب، وهو يستعمل في مواقف مخصوصة تستلزم الجد، وفي عالمه المرجعي يتصل في الغالب بمعاني دينية، فإذا به يخرج عن السياق الذي وضع من أجله، ليثير الهزل والضحك . فقد قام الطفيلي بتشكيله بدلالات جديدة مستمدة من عالم التطفيل، ومعجم الأكل، وهذه البنية الجديدة التي أنشأها الطفيلي من محاورته للمرجعية التراثية، قد رافقت البطل في تحركاته وفضائه المفتوح وهو يبحث عن الولائم ويقتحم المآدب، من ذلك قول أحد الطفيليين: " **اجتمع قوم من الطفيلين فأرادوا وليمة فقال رئيسهم : اللهم لا تجعل البواب لكازا في الصدور دفاعا في الظهور طراحا للقلانس، وهب لنا رأفته وبشره وسهل لنا إذنه، ..**" [42].

وفي الشعر استلهم الطفيليون بنية الشعر التقليدية المتوارثة بما فيها من إيقاع وصور، فضلا عن الأغراض الشعرية، ثم جردوها من المعاني الشعرية التي تداولتها العرب، وأبدلوها بمعاني تنسجم من غرض الأكل ومذهب التطفيل، فلم يعد الفخر فخرا بالجود والشجاعة والكرم، بل فخرا بالنهم، واقتحام المآدب، ولذة التطفيل . من ذلك قول أحد الطفيليين[43]:

إنّ شُـــكري لِمنَّـــة التَّطفيـــل ... وأياديـــه مُنـــذُ دَهْـــر طويـــل
كـم تراني قـد نِلْتُ مـن لـذّة العيـ ... ـش بأســبابهِ وحَــظٍّ جزيــل
وتمتَّعــتُ مـــن طعـــام لذيـــذٍ ... وسَـــمَاع فيـــه شِـــفاءُ العليـــل
فــإذا مــا عَرَفْــتُ مُجتمــع الإخــ ... ـوانِ فــي بيــت صــاحبٍ أوخليــل
كــان إتيانُــهُ صــوابا علــى الأُنــ ... ـسِ ولــم أجْتنِــبْ كفعــل الثَّقيــل

وفي الرثاء الذي تضمنت معانيه التقليدية، مديح الميت، وتعداد صفاته الجيدة ومحاسنه، أضحى عند الطفيليين مدحا لصفات ذميمة مرفوضة لمن مات منهم على مذهب التطفيل، واستذكارا للطعام، نحو قول أحد الطفيليين يرثي بنانا عند موته[44] :

يـــا أيُّهـــا الميـــتُ الذَّميـــ ... ـــم لـــدى الأقـــارب والأباعـــدْ
مَـــنْ للهـــرايس إذْ فُقِـــدْ ... تْ وللثّرائـــد والعَصَـــائِد
وحُضُـــور أيَّـــام الـــولا ... ئِـــم والقُعُـــود علـــى الموائِـــد
والأكـــل مـــا قـــدرت عليـــ ... ـــه يـــداك مـــن حـــار وبـــارد
قـــد كُنـــتَ تَلْـــتقِمُ الـــرُّؤُو ... سَ إذا خَلـــوتَ وفـــي الشَّـــواهد
وتَعِيـــثُ فـــي مـــال الصَّديـــ ... ـــقِ كـــوارثٍ فـــي مـــالِ والِـــد
أظننْـــتَ أنّـــك سَـــوفَ تخْـــ ... ـــلُدُ وابـــنُ آدم غيْـــرُ خالِـــد

ومن بين وجوه المحاكاة الساخرة، خروج الوصية وكذلك الخطب من غرضها الجاد وتحويلها الى غرض هزلي، فالوصية في العالم المرجعي من الأجناس الجادة التي ينعدم فيها الهزل، ويهيمن عليها الوعظ، والنصح، والتوجيه وغيرها من المقاصد الاخلاقية والتعليمية . لكن الطفيلي جعلها رهينة عالمه في التطفيل فأصبحت معاني الوصايا مستمدة من معجم الطعام، وهي فضلا عن ذلك فقد شكّلت مرجعا مهما لحفظ آدابه وتوريثها لم يخلفه من بعده . من ذلك ما جاء في أحد الوصايا : "**يذكر أن بعض الطفيليين مرض فقال له غلامه : أوصني، قال : منَّ الله عليك بصحة الجسم وكثرة الأكل، ودوام الشهوة، ونقاء المعدة ؛ ومتعك بضرس طحون، ومعدة هضوم، مع السعة والدَّعة والأمن والعافية ؛ إذا قعدت على مائدة وعزَّ بك الماءُ فغصصت بلقمتك، فضع يدك اليمنى فوق رأسك وحركها كأنك تسوي كمتك، فإنها تنزل بإذن الله ؛ وإذا قعدت على مائدةٍ وكان موضعك ضيقا، فقل للذي إلى جانبك: يا أبا فلان ! لعلي قد ضيّقت عليك ؟ فإنه يتأخر الى خلف، ..**" [45].

ويعد الحديث النبوي الشريف من المرجعيات الدينية المهمة بعد القرآن الكريم عند الطفيليين، ومصدرا حجاجيا مهما في التأثير في الآخرين؛ لأنه خطاب صادر عن أفصح وأبلغ ناطق عربي. وقد استعان به الطفيلي لدعم مذهبه في التطفيل، ومن أمثلة ذلك ما يرويه نصر بن علي الهضمي عن جار له طفيلي وكان من أحسن الناس منظرا، وأعذبهم منطقا، وأطيبهم رائحة، وأجملهم لباسا، وكان كلما دعي الى دعوة تبعه، وفي أحد الدعوات قرّر فضحه " **فقدّمتُ إلى مائدة والطفيلي معي، فلما مد يده وشرع لتناول الطعام، قلت: أخبرنا دُرُسْتُ بن زياد، عن أبان بن طارق، عن نافع، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من دخل دار قومٍ بغير إذنهم فأكل طعامهم، دخل سارقاً وخرج مُغيراً)** [46] **فلما سمع ذلك، قال : أنفتُ لك والله ابا عمرومن هذا الكلام ؛ فانه ما من أحد من الجماعة الا وهو يظن انك تعرض به دون صاحبه، أولا تستحي أن تتكلم بهذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام، وتبخل بطعام غيرك على من سواك، ثم لا تستحي ان تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف، أبان بن طارق وهو متروك الحديث! تحكم برفعه الى النبي(صلى الله عليه وسلم) والمسلمون على خلافه، لأن حكم السارق القطع، وحكم المغير ان يعزر على ما يراه الامام ؛ واين أنت عن حديث حدثناه أبو عاصم النبيل، عن ابن جُريح، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :(طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية)**[47] **وهو إسناد صحيح ومتن صحيح . قال نصر بن علي: فأفحمني، فلم يحضرني له جواب** "[48].

وقد جمع أحد الطفيليين بعضا من هذه المرجعيات التراثية، في قوله[49]: "**أحفظ من القرآن آية واحدة، ومن الحديث خبرا واحدا، ومن الشعر بيتا واحدا . أما الآية فقوله تعالى:{ آتِنَا غَدَاءنَا }**[50]. **وأما الحديث فما رواه الثقات: "إن التمكن على المائدة خير من زيادة لونين". وأما الشعر فقوله:**

نـــــزوركم لا نكـــــافئكم بجفـــــوتكم إنّ المُحِـــــب إذا لـــــم يُســــتزر زارا

أما القرآن الكريم فهو يعد من أهم المرجعيات الدينية التي استعان بها الطفيلي في دعم حججه ومذهبه في التطفيل، فهو خطاب مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لذا فقد وظّفه في عالمه بما يخدم مصالحه التي تتمحور حول الطعام، والدخول الى المآدب، وهو مضمار المحور الآتي .

المحور الثاني: وظائف النص المقدس (القرآن) في خطابات الطفيليين

مدخل

يُعدُّ القرآن الكريم من المرجعيات الدينية المهمة التي اقتبس منها الشعراء والأدباء ألفاظهم وصورهم، ومعانيهم متمثلين بآياته الكريمة في مخاطباتهم وأشعارهم عارفين أنّ هذا الاقتباس يكسي كلامهم " **معرضا ما لحسنهِ غاية، ومأخذا ما لرونقه نهاية، ويكسبه حلاوة وطلاوة ما فيها غلا معسولة الجملة والتفصيل، ويستفيد جلالة وفخامة ليست فيهما إلا مقبولة الغرة والتحجيل**" [51].

والاقتباس من القرآن الكريم ظاهرة عامة في تراثنا العربي، والرسول (ص) وهو أفصح العرب لهجة، وأحسنهم فصاحة وبيانا قد اقتبس كثيراً من معاني القرآن الكريم وألفاظه في حديثه وخطبه وكذلك فعل السلف الصالح من الصحابة والتابعين . ومما لاشك فيه "ان القرآن الكريم كان له الفضل الأكبر في ضمان بقاء العربية، في حين درست أخواتها اللغات القديمة، بينما هي تزداد نضارة وازدهارا على مرِّ الزمن"[52]. وقد كان القرآن الكريم باعثا لثقافات وعلوم متنوعة، كالنحو والصرف والحديث والفقه والبلاغة غيرها، فهو أول مصدر من مصادر الأدب الإسلامي وكان له الفضل الكبير في إقامة عمود الأدب العربي[53].

وظاهرة الاستشهاد بالنص القرآني قديمة جدا، إذ قد لا يجيب من سُئل بالأجوبة العادية، بل يتخذ من آي القرآن جوابا للمتلقي قد توظف لأغراض سياسية، واجتماعية، وأدبية لإفحام المقابل أولا، فضلا عن عرض الثقافة الدينية التي يتحلى بها المتكلم . والطفيليون كباقي المثقفين أتجهوا صوب القرآن الكريم لينهلوا من بلاغة ألفاظه، وبما أنه نص مقدس معصوم من الطعن غير قابل للنقد أوالاعتراض، فقد لجأ الطفيلي الى توظيفه في خطابه

للتأثير في المخاطب، وتغيير سلوكه، وتوجيه تفكيره الى الوجهة التي يريدها[54]، فضلا عن ان هذه الشواهد القرآنية تمنح للحجاج قوة، وتكشف عن مهارة المتكلم الذي أحكم الصلة بين كلامه والشاهد الذي اقتبسه[55].

وإذا كان للشاهد القرآني وظائف كثيرة ومختلفة في النصوص الأدبية الجادة، فإنه يضطلع بجملة من الوظائف في النصوص الأدبية الهزلية، فهو يستعمل في النادرة للإقناع، والإفحام، والرد بالمثل أحيانا، والهزل والإضحاك، والمحاكاة الساخرة في أغلب الأحيان[56].

ولابد ان نُبيِّن أن الاقتباس من القرآن الكريم جاء على ثلاثة أقسام : مقبول، ومباح، ومردود. فالأول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي (ص) ونحو ذلك . أما الثاني : ما كان في الغزل والرسائل والقصص. والثالث على ضربين : أحدهما، ما نسبه الله عز وجل إلى نفسه، والآخر تضمين آية كريمة في معنى هزل[57]، فضلا عن ذلك كان يكره أن يتأول القرآن لشيء يعرض من أمر الدنيا[58]. ويندرج اقتباس الطفيليين من القرآن الكريم تحت النوع الذي يشمل تضمين آية كريمة في غرض دنيوي . وقد جاء هذا الاقتباس نصيا، والمقصود به تضمين الآية الكريمة بنصها الكامل حيث يأتي بها في درج الكلام وكأنها جزء منه ملائمة لمقتضى الحال[59]. معتمدا في ذلك تقنيتي التفكيك والتركيب كما سنبين في أدناه .

التفكيك والتركيب بين المقدس والدنيوي

وظفّ الطفيلي القرآن الكريم في خطاباته معتمدا طريقتي (التفكيك والتركيب). يكون التفكيك بالفصل ويكون التركيب بالتوحيد، أي تكوين وحدة من عنصرين أو أكثر ودمجهما في بنية واحدة، وذلك باختيار أجزاء من عالم سابق مكتمل وفصلها عنه وإعادة توظيفها في عالم آخر[60]. وهوبهذا يجمع بين المقدس والدنيوي في مقام واحد، حيث يغدوالمقدس متمثلا بالقرآن الكريم وسيلة غايته الدنيوي المتمثل بعالم التطفيل والأكل، ومن خلال هذا الجمع بين العالمين المتناقضين يتولد الضحك الناشئ عن نزع القداسة، فالهزلي يتميز بضروب من التجاسر والجرأة . وفي عالم الطفيليين تمثلت جرأة الهزلي بتفكيك الآيات بإخراجها من سياقها لإنشاء وحدات أخرى متنزلة في سياق جديد[61]. ومن أمثلة ذلك "**جاء بُنان إلى وليمة، فأغلق الباب دونه، فاكترى سُلّماً فوضعه على حائط الرجل، فأشرف على عيال الرجل وبناته، قال له الرجل: يا هذا ! أما تخاف الله ؟ رأيتَ أهلي وبناتي ؛ فقال: يا شيخ { لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍ وإنّكَ لَتَعْلَمَ مَا نُرِيدُ }[62] فضحك الرجل وقال: أنزل فكُلْ**"[63]. قام بنان في هذه الرواية بفعل مرفوض أخلاقيا، أكترى سلما وأشرف على أهل الرجل صاحب الوليمة بجرأة، وبعد أن عرّفه صاحب المأدبة بان فعله هذا حرام، حاججه بنان باقتباسه نصاً من القرآن الكريم، فأفحمه وأسكته .

الآية التي اقتبسها بنان جاءت في سورة هود من قوله تعالى { **وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ** }[64] وهي حكاية ما أجاب به قوم لوط حين عرض عليهم نبي الله لوط (ع) بناته ونهاهم عن الفواحش، ودعاهم الى النكاح المباح ؛ بأن قالوا { **مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍ**} وقيل في معناه قولان: "**معناه أنهن لسن لنا بأزواج . والآخر: اننا ليس لنا في بناتك من حاجة، فجعلوا تناول ما ليس لهم فيه حاجة بمنزلة ما لا حق لهم فيه . وقوله تعالى { وإنّكَ لَتَعْلَمَ مَا نُرِيدُ } تمام حكاية ما قالوه للوط، كأنهم قالوا انك تعلم مرادنا من إتيان الذكران دون الإناث**"[65].

لقد فكّك بنان الآية الكريمة من سياقها المقدس الذي جاءت فيه في سورة هود، وقام بتركيبها في سياق جديد دنيوي مغاير للسياق الأول . السياق الجديد يتمحور حول الأكل، وبنان لا شأن له ببنات الرجل، فلا حق له فيهن، لكن حقه يتركز حول الحصول على الطعام بأي وسيلة . وهكذا فقد دمج الطفيلي المقدس والدنيوي في سياق واحد بوساطة التفكيك والتركيب لينتج نصا جديدا يخدم أهداف الطفيلي. وقد يبدو واضحا ذكاء الطفيلي، وسرعة بديهيته، وثقافته التي جعلته يستحضر الآية القرآنية الملائمة للمقام، فقد تمكن من تخدير خصمه تخديرا عقليا يقوم على المناظرة ومقارعة الحجة بالحجة، فقد أراد صاحب الدار ان يُبيِّن للطفيلي أن ما فعله محرم (أما تخاف الله)، لكن بنان قارعه بحجة أقوى من كتاب الله، ومن ثم وقف عقل الخصم (صاحب المأدبة) عاجزا على التفكير، لأنه أمام نص مقدس معصوم عن الخطأ، ومن هنا يحقق الطفيلي مبتغاه، لأن صاحب الوليمة / المتلقي سيرضخ تحت سلطة النص الديني، ويذعن تاركا الطفيلي يمر ليدخل ويأكل بثقة عالية وكأنه رب الدار.

وهذا المعنى الجديد المتولد عن اقتباس الآية القرآنية قد فهمه صاحب الدار، وهو الذي قد دفعه للضحك، ففي الرواية "**فضحك الرجل وقال: أنزل فكُلْ**" هذا الضحك لم يكن اعتباطيا، بل ان التفكيك والتركيب الذي قام به الطفيلي بهذه الطريقة الظريفة، والذكاء الحاد هو الذي دفع بالرجل إلى الضحك. إنّ مقاصد الحجاج عند الطفيليين تهدف إلى تقويض خطاب الخصم، وتشييد خطاب مضاد يهدف الى أستمالة الناس إلى فحوى الخطاب الجديد وتحقيق تأييدهم لمضمونه[66].

ومثل ذلك أيضا ان طفيليا كان إذا "**دُعي فقدم الخوان أول من يتقدم، ثم يقول: { وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}**[67]"[68]. فالطفيلي من أول الناس حضورا على الولائم والاطعمة، ونجد في وصاياهم الدعوة إلى الإبكار في حضور المآدب للحصول على الطعام الجيد[69]، لقد اقتبس الطفيلي الآية من قوله تعالى:{**وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى.قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى** }[70]. فالآية في سياقها الأصلي حين خاطب الله تعالى النبي موسى { **وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى**} كانت المواعدة أن يوافي هو وقومه، "**وكان قد مضى**

مع النقباء الى الطور، ثم تقدمهم شوقا إلى كلام ربه، فسبق موسى الى ميقات ربه فقرره الله على ذلك لم فعله ؟ وقال موسى في جوابه { هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى } يدركونني عن قريب، وسبقتهم اليك حرصا على تحصيل رضاك" [71]. ثمة تناقض بين الهدف من العجلة بين النصين، العجلة في النص القرآني جاءت لهدف مقدس، آلا هو لقاء النبي موسى(ع) لربه، أما عجلة الطفيلي فهي للحصول على غرض دنيوي. وبهذه الطريقة من التفكيك والتركيب تشكلت بنية نصية جديدة من عالمين مختلفين، وذلك باختيار أجزاء من عالم سابق مكتمل متمثلة بالنص القرآني وفصلها عنه، وإعادة توظيفها في عالم آخر هو عالم الطفيلي[72].

ويعد القرآن الكريم آلية حجاجيه غاية في الأهمية يدافع بها الطفيلي عن مذهبه أمام من حاجّه مستنكرا تطفيله، "**قال رجل لأبيه وكان يتطفل : يا أبه! أما تستحي من التطفيل ؟ قال : وما أنكرتَ منه ؟ فقد تطفل بنو اسرائيل فقالوا:{ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تكونُ لَنَا عيداً}**[73]" [74]. فالأبن في هذه الرواية قد استنكر تطفيل أباه فجاء الرد باقتباس الأب الآية الكريمة التي سأل فيها النبي عيسى (ع) ربه ان ينزل على بني اسرائيل مائدة من السماء تكون عيدا لهم لأولهم وآخرهم على ما يقترحه قومه، وتكون آية على توحيده وصحة نبوة نبيه[75]. وهنا قام الطفيلي باقتطاع الآية من سياقها الذي قيلت فيه وتركيبها في سياق آخر بحيث جعل من التطفيل لا عيب فيه مؤيدا موقفة بنص مقدس، كما قام بتحوير المعنى بما يخدم موقفه، فقد جعل الطفيلي من طلب بني اسرائيل من النبي عيسى (ع) مائدة من السماء، تطفيلا على الله، بما ان الطلب قد خصص للطعام، وجعل من بني اسرائيل طفيليين، وأمام هذه الحجة، وقف الابن عاجزا عن الرد أمام سلطة النص القرآني، ولذلك توقف الحوار عند هذا الحد.

ومن الملاحظ أن ثمة تباين في الاستشهاد المذكور، فالآية لم تذكر بالكامل، فالطفيلي بدأ بقوله تعالى : {**رَبَّنَا أَنزِلْ..**} بينما النص القرآني يبدأ بقوله :{ **قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ..**} [76] ومع ذلك فالطفيلي قد نسب القول لأبناء اسرائيل بدلا من عيسى بن مريم . " إن هذا الاستخدام، بل الأحرى سوء الاستخدام،لآية من القرآن هو شيء يتفق تماما مع الاتجاه نحو استغلال النصوص والأحكام الدينية للدفاع عن التطفيل"[77].

وتتخذ رواية أخرى عن الطفيليين منحى آخر، باقتباس آيات من القرآن الكريم تتمحور حول العدد، وظّفت أيضا لخدمة هدف الطفيلي، الطعام . قال الحسن بن الصباح النّسائي : " **دخلت على جعفر بن محمد، فقال لي : ما تقول في الحلوى ؟ فقلت : لا أقضي على غائب ؛ فدعا بجام مخروط محكوك قوائمه منه، وفيه لوزينج معمول بالمورد الجوري، وباللوز المقشور من قشريه، والسكّر الطّبرزد، ملفوف بالعسل الأبيض، إذا قلعت اللوزنجة سمعت لها صريرا كصرير النعل السندي، فإذا دخلتها في فيك سمعت لها نشيشا كنشيش الحديد إذا**

خرج من الكير، فقلت: {وإِلَـهَكُمْ إلـهٌ وَاحِدٌ }[78] فأطعمني واحدة ، قلت: { أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ }[79] فأطعمني ثانية، قلت: {فَعَزَّزْنا بثَالثٍ}[80] فأطعمني ثالثة، قلت { فَخُذ أربَعَةً من الطّيرِ }[81] فأطعمني رابعة، قلت: { ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة }[82] فأطعمني خامسة، قلت :{خمسة سادسهم كلبهم }[83] فأطعمني سادسة، قلت: {سَبعَ سَمواتٍ طِباقَاً }[84] فأطعمني سابعة، قلت: { ثمنية أزواج }[85] فأطعمني ثامنة، قلت: {تِسْعَةُ رهط}[86] فأطعمني تاسعة، قلت {عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ}[87] فأطعمني عاشرة، قلت: {رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً}[88] فأطعمني أحد عشر، قلت: { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ}[89] فأطعمني أثني عشر، قلت: {إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ}[90] قال : فرمى بالجام إليَّ، وقال لي : كُلْ يا ابن البغيضة، قلت: والله لو لم ترم إليّ بالجام لقلت لك : {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَويَزِيدُونَ}[91]"[92].

تعج هذه الرواية بالاقتباس من القرآن الكريم، فقد اقتبس الطفيلي ما يقارب أربع عشرة آية، وكلها تدور حول العدد . ومن المعلوم ان القرآن الكريم يحتوي على مجموعة كبيرة من الآيات التي تذكر الأعداد، وقد قام الحسن بتوظيف جزءا من آيات قرآنية وردت في سور عدة، ولها أسباب نزول مختلفة يومئ بها لطلبه دون تصريح بغرضه لجعفر . إن الحسن لم يسأل عن إطعامه الحلوى بشكل مباشر، بل احتج بالنص القرآني، وبهذا مارس الطفيلي سلطة على صاحب المنزل مشفوعة بالنص القرآني المقدس، ولذا لن يتراجع جعفر عن العطاء، حتى يطعمه أثنتي عشرة قطعة، ولم يتوقف عند هذا الحد؛ لأن الحسن قفز قفزة عددية يطلب بها زيادة العطاء إلى عشرين قطعة . وكأنه – أي حسن – يريد أن يبين لـ(جعفر) انه لن يتوقف عند حد حتى يحصل على الجام كله . ولذلك فان جعفرا قد استشعر ان العدد لن يتوقف، وهنا رمى بالجام كله " **وقال: كُلْ يا ابن البغيضة، فقلت: والله لو لم تعطنيه لقلت: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَو يَزِيدُونَ}[93]** ".

لقد قام الطفيلي بتفكيك الآيات التي تضمنت الأعداد من سياقاتها الأصلية، ومن ثم تركيبها في بنية نصية جديدة تحقق ما يصبوإليه الطفيلي، ومن المعلوم ان للعدد في القرآن الكريم أغراضا ومقاصد، فقد يأتي للكثرة، أو قد يكون لتبيان وحدانية الله تعالى، أو في بيان الأحكام الفقهية الى غير ذلك[94]. فقوله تعالى **{وإِلَـهَكُمْ إلـهٌ وَاحِدٌ}** جاءت في النص القرآني لتبين ان " **الله فرد في الإلهية لا شريك له فيها فلا يصحُّ أن يسمى غيره إلها**"[95]. لكن عند الطفيلي الأمر مختلف، ان حبة واحدة من اللوزينج تعادل في لغة الطفيلي الإله الواحد " وهذا التوازري التركيبي بين آية التوحيد وأكل قطعة الحلوى الواحدة من طرائق استعمال اللغة في تشييد عالم الطفيلي وهو كذلك من طرائق توليد الفكاهة" [96]. والأمر ينطبق على باقي الآيات القرآنية التي اقتبسها الطفيلي، فقوله تعالى{ **أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ** }، تشير الى عدد الرسل الذين بعثهم الله تعالى[97]، لكن في لغة الطفيلي تعادل حبتي من اللوزينج.

وقوله تعالى : {**فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ**} تشير في قوله تعالى " **فقويناهما وشددنا ظهورهما برسول ثالث**"[98]. وهي في لغة الطفيلي تدل على ثلاث حبات من اللوزينج . وعلى هذا النحو وظَّف الطفيليون النصوص الدينية لدحض حجج خصومهم، فضلا عن ان الطفيلي يوظف حجاجه بما يتماشى مع نص الحديث، معتمدا على المرونة في تأويل النص، كل حسب فهمه وأدلته الشرعية وحججه المنطقية، ومن ثم فهو يستدل ويبرهن على صحة رأيه أمام مخاطبه، إذ يحاور بالحجة لا قناعه واستقطابه [99]. ومثلها أيضا ما يروى عن شيخٍ صوفيٍّ يُعرف بأبي الخير، كان الصاحب بن عباد[100]، يأنس به ويحسن اليه، "**وكان شيخا خفيف الروح، كثير النوادر، مع ورع وسداد، يرجع اليهما، وكان حافظا للقرآن، فكان قد جمع كل آية فيها ذكر الأكل، فكان إذا ذكر الطعام وحضر وقته وقف بين يدي الصاحب، وقرأ كل آية يتصل بها "كلوا" ويقف عليه، فإذا دخل شهر رمضان وصام الناس وقف على "لا تأكلوا" . فكان يقول إذا أبطأ عنه الطعام، وحضر وقت الغداء: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم { اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ }**[101]، {**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ**}[102]، {**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ }**[103]، {**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ }**[104]"[105].

تعكس هذه الرواية أن الطعام هو الهم الوحيد للطفيلي، وأن كل ما يقتبسه من القرآن يوظف في هذا الجانب الدنيوي، وهذا قد دفع ذلك الشيخ الصوفي إلى جمع الآيات التي وردت فيها كلمة (كلوا)، ويستشهد بها في كل وقت يحضر فيه الطعام أو إذا تأخر عنه . أما في شهر رمضان يستشهد بالآيات التي وردت فيها كلمة (لا تأكلوا) . وقد بلغ عددُ الآيات التي وردت فيها كلمة "كلوا" التي حفظها هذا الشيخ " إحدى وخمسين آية "، أما الآيات التي وردت فيها كلمة "لا تأكلوا" فـ" ست آيات فقط "[106]. هذا الشيخ الصوفي جمع آيات قرآنية ورد فيها ذكر كلمة (كلوا) و(لا تأكلوا) ولها أسباب نزول مختلفة، واقتطعها من سياقاتها وقام بتركيبها في بنية جديدة تتمحور فقط حول طلب الأكل في الأيام التي يأكل فيها الإنسان، أو الصيام عن الطعام في شهر رمضان .

المحور الثالث: ملامح من عالم الطفيليين الدنيوي من خلال توظيف المقدس(القرآن)

قد سبق وذكرنا أن للطفيلي عالماً خاصاً يتحرك من خلاله، يقوم فيه بجملة من الأعمال، أبرزها الإقبال على المآدب والنهم في المأكل، ولهذا العالم بناء ثقافي خاص به عبّر فيه الطفيلي بالكلمات عن هوسه المطلق بالطعام، وعن موقفه من الآخر صاحب المأدبة أو البواب، كما احتلت الأطعمة وأنواعها حيزا كبيرا فيه من خلال

معجم خاص بها[107]. وقد استعان الطفيلي بقوالب جاهزة مستمدة من بلاغة العرب كالخطب، والوصايا، والدعاء الى غير ذلك وأفرغ فيها محتويات هذا العالم .

إنّ النظر في اقتباسات الطفيليين من القرآن الكريم، تكشف لنا جوانب من هذا العالم، وهو عالم دنيوي محض . ويمكننا ان نستشف ملامح من عالم الطفيليين هذا من خلال جانبين، الأول : نقوش خواتمهم . والثاني : تفسيرهم للنص القرآني على على وفق مكونات هذا العالم .

أ. نقوش خواتمهم

تكشف نقوش خواتم الطفيليين التي اقتبس فيها الطفيليون آيات من القرآن الكريم، جوانب مهمة من عالمهم الدنيوي، ومن هذه الاقتباسات ما كانت دلالته واضحة ومعبرة عن عالم الطفيلي، والآخر كانت دلالته مضمرة نستشفها من خلال الاقتباس . فمن الاقتباسات التي كانت دلالتها معبرة نقش بعضهم على خاتمه[108]:{ **أُكُلُهَا دَآئِمٌ**}[109]. هذا الاقتباس جزء من قوله تعالى: {**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ** }[110]، والآية تشير إلى جنة الخلد التي أعدها الله للمتقين، هذه الجنة " **ثمارها لا تنقطع، كما تنقطع ثمار الدنيا في غير أزمنتها**"[111]. والطفيلي اقتبس هذا الجزء الذي ركز فيه على ديمومة الأكل، ليعكس العالم الذي يتمنى أن يكون فيه، عالم الأكل فيه دائم لا ينقطع، وهي أمنية يسعى الطفيلي بشكل دؤوب لتحقيقها، فالنهم الدائم للطعام لا يتوقف، فهولا يشبع أبدا، جوع أسطوري للطفيلي جعله يركز فقط على هذا الجزء من الآية، ويتمنى أن يكون الأكل في الدنيا مثل أكل الآخرة، لا يزول . وهذا ما لا يتحقق للطفيلي، لأن مطلبه الدنيوي صعب المنال. ومثله نقش طفيلي{ **آتِنَا غَدَاءنَا** }[112]، وهذا الجزء من الآية اقتبسه من قوله تعالى { **فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً** }[113] الذي يشير الى طلب النبي موسى (ع) للغداء بعد ان نسي تفقد أمر الحوت ووقوعه في الماء "**أُلقي على موسى النَصَبُ والجُوعُ ولم يَجُعُ ولم يتعبْ قبل ذلك، فتذكر موسى الحوت وطلبه**"[114]، طلب الغداء في الآية الكريمة كان لحكمة إلهية، لكن الطفيلي اقتبسه لسبب آخر يرتبط بعالمه الدنيوي، ومن خلاله كشف الطفيلي عن اللحظة الأكثر أهمية في هذا العالم، وقت تقديم الطعام، والنقش يشير بما لا يقبل الشك الى دعوة الطفيلي للمتلقي الى جلب الغداء أوالطعام دون أن يصرح بذلك أو ينطق به، بل تكفي دلالة الآية للإشارة الى مطلبه، سيّما انه نص قرآني مقدس له هيبته في نفوس الناس.

ومن الاقتباسات القرآنية التي كانت دلالتها مضمرة، نقش آخر[115]:{ **لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ**}[116]. اقتبس الطفيلي هذه الآية في سياق الحديث عن نار جهنم من قوله تعالى { **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ**}[117] التي تتحدث

عن النار التي لا تبقي شيئا يُلقى فيها إلا أهلكته، بل كل ما يلقى فيها هالك لا محالة[118]. إلا ان المعنى الخفي الذي أراده الطفيلي من هذا النقش القرآني أنه يتمنى لو يكون كهذه النار الحارقة لا يبقي شيئا من طعام ونحوه، إلا أهلكه نهما وجشعا.

ب. تفسير النص القرآني

ولا يتوقف الأمر في فهم عالم الطفيليين الدنيوي عند حدود نقوش الخواتم فقط، بل يمكن معرفة عالمه أيضا من خلال مقدرته على تفسير النص القرآني على على وفق مذهب التطفيل. فقد فسّر أحدهم الشجرة الملعونة في القرآن، فقال: هي الخلال[119]، لمجيئه بعد انقضاء أمر الطعام ووقوع اليأس منه[120]. الشجرة الملعونة جاءت في قوله تعالى:{**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القرآن وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيرا**}[121]، المقصود بها الزقوم[122] التي تنبت في أصل الجحيم، وفي سورة أخرى { **إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ** }[123]، والمعنى ملعون أكلها[124] وقد جعل الطفيلي الخلال – وهو جنس من الشجر– مثل شجرة الزقوم ملعون ومنبوذ، لأنه يأتي بعد الانتهاء من الطعام، فهويمثل انتهاء اللذة التي يتمنى الطفيلي ان تكون خالدة لا تنتهي .

وفسّر آخر قوله تعالى: **{ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ}**[125]، فقال: إلى المنزل إذا لم تكن دعوة[126]. الطفيلي اقتبس هذه الآية التي تصف عذاب أهل النار، فبعد أكل الزقوم، وشرب الحميم يردون بعد ذلك الى النار الموقدة، بمعنى أنهم وقت ما يطعمون الزقوم ويشربون الحميم بمعزل عنها[127]. حاول الطفيلي من خلال هذا الاقتباس توضيح العالم الذي يكون فيه عندما يرجع إلى البيت دون أن يظفر بدعوة فيها طعام، فحاله مثل حال أهل النار، ومنزله قد أصبح أشبه بجهنم . وهذه صورة من صور عذاب الطفيلي استقاها من صور القرآن الكريم لأهل النار، وهي تعبير عن عالم له تفرده وخصوصيته، وغرابته في الوقت عينه.

وفسّر بعض الطفيليين قوله تعالى: **{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً }**[128]، فقال:هم الذين يثردون ولا يأكلون وغيرهم يأكل[129]. وقال آخر: بل هم الذين لا سكاكين معهم في أيام البطيخ[130]. يشير قوله تعالى الى الذين "**يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وإن أفعالهم طاعة وقربة، وقيل انهم اليهود والنصارى، وقيل الرهبان منهم**"[131]. وقد فسّر الطفيليون هذه الآية على وجهين، الأول : لقد جعل الطفيلي من الذي يثرد الطعام ولا يأكل منه وغيره يأكل من الأخسرين أعمالا، فهويظن انه يفعل حسنا، وهو على غير ذلك، لأن مذهب التطفيل قائم بالأساس على أكل الطعام بكل نهم وشره وان لا يضيع الوقت في أي عمل غيره، أما تعطيل فعل الأكل، فهو خسارة كبيرة عند الطفيلي. والثاني: يمثل الخاسر في عالم الطفيلي الذي لا يملك سكينا في أيام البطيخ، والسكين

له دلالة إيحائية في عالم التطفيل، فهوأداة مهمة لتقطيع الطعام، وبدونها لن يتمكن الطفيلي من أكل البطيخ، إن كل شيء يمنع الطفيلي عن فعل الأكل هوخسارة في هذا العالم .

يتضح مما تقدم، أن الطفيلي كان على معرفة بالقرآن الكريم، حفظا وتفسيرا، لكنه وظّف التفسير القرآني لتفسير عالمه الخاص، الذي يرتكز على الطعام، والدليل على ذلك أنه عندما كان يفسر الآية على وفق معطيات عالمه كان ينطلق بالأساس من التفسير القرآني الدقيق والصائب للآية –ولو لا ذلك– لما تمكن من إيصال فكرته المنشودة من وراء هذا الاقتباس .

الخاتمة

تمخض البحث في علاقة المقدس (القرآن الكريم) بالدنيوي (حكايات الطفيليين) إلى نتائج مهمة نوجزها بالآتي :

التطفيل في المعنى اللغوي والاصطلاحي يدلُّ على الشخص الذي يقتحم المآدب دون دعوة، وقد تطورت دلالة هذا المصطلح لتشير إلى الأخذ أو السرقة من معاني الآخرين، لذلك قرن الطفيلي بالسارق؛ لأنه يأخذ ما ليس له حق فيه .

تعد فئة الطفيليين من الفئات الهامشية في التراث العربي؛ لأنها تخرق آداب الدعوة، وآداب المؤاكلة التي ينبغي للفرد أن يلتزم بها في المجتمع، لئلا ينتقده الناس ممن حوله، لذلك الطفيلي غير مرحب به أينما حل .

أصبح لهذه الفئة حضور واضح منذ أن وضع الحجاب على الأبواب، جرّاء التأثر بالأمم الأخرى، خاصة الفارسية، فضلا عن تنوع أصناف الطعام، والبذخ والترف، وضعف التمسك بالتقاليد العربية في إطعام الطعام .

للطفيليين تنظيمات خاصة بهم، ولهم زعماء يقومون بدور المعلمين والموجهين للمبتدئين منهم، فضلا عن ذلك فقد أصبح التطفيل صنعة يتكسب من خلالها .

تمتاز فئة الطفيليين بوجود مثقفين فيها، وبعضهم من أصول شريفة، إلا أن سوء الأوضاع الاقتصادية، والفقر والعوز قد دفعهم الى سلوك هذا الطريق، وقد ترك لنا الطفيليون تراثا كبيرا من الشعر والنثر يعكس عالم هذه الفئة الهامشية .

يُعدُّ الإلمام بالثقافات والفنون جانبا مهما في شخصية الطفيلي، يتضح ذلك من وصاياهم التي تحث الطفيليين على الإلمام بثقافات مختلفة من تاريخ، وشعر، وطب الى غير ذلك، فهذه الثقافات تعد ذخيرة مهمة للطفيلي في

مواجهة ثقافة الحجب والمنع التي يواجهها من المجتمع، فما ان يرد الطفيلي على المتلقي الذي يزدريه حتى تصيبه الدهشة من الثقافة العالية التي ألم بها الطفيلي.

للطفيلي لغة وبلاغة خاصة به، وعالم مرجعي يتشكل من التناص مع التراث العربي القديم، بأجناسه وفنونه المتنوعة، فمرجعيات الطفيلي ليست واحدة، بل تتنوع بين الحديث النبوي، والدعاء، والشعر، والخطب، والوصايا الى غير ذلك .

لم يستلهم الطفيلي التراث العربي كما هو، بل قام بتشكيله على على وفق دلالات جديدة مستمدة من عالم التطفيل، فالدعاء، والشعر، والخطب، والوصايا وغيرها، كلها مرجعيات لها قوانينها المتعارف عليها في التراث العربي، لكن الطفيلي اقتبس الجنس الأدبي وقام بملئه بمعاني مستمدة من عالم التطفيل وبما يثير الهزل والضحك.

أغلب حكايات الطفيليين جاءت على شكل نوادر، والنادرة جنس أدبي يمتاز بضرب كل ما هو مقدس وقيمي وقار في المتخيل الجمعي؛ لذا نجد أن الضحك يتولد في حكايات أو نوادر الطفيليين من نزع القداس عن النص الديني وذلك بتركيبه في سياق آخر مغاير يخدم أهداف الطفيلي الدنيوية .

يحتل الاقتباس من القرآن الكريم حيزا مهما في حكايات الطفيليين، فهويُعدُّ مرجعا مهما، وآلية حجاجية خطيرة مقابل سلطة المنع والحجب، لأنه نص مقدس معصوم من الطعن، وما ان يحاجج الطفيلي خصمه بالقرآن حتى يخضع لسلطة النص الديني .

كان للشاهد القرآني جملة من الوظائف في حكايات الطفيليين، فهو قد استعمل للتاثير على المخاطب وتوجيه تفكيره الى الوجه التي يريدها، فضلا عن ان هذه الشواهد القرآنية تمنح للحجاج قوة، وتكشف عن مهارة الطفيلي الذي أحكم الصلة بين كلامه والشاهد الذي اقتبسه، كما وظفه الطفيلي للإقناع، والإفحام، والمحاكاة الساخرة في أغلب الأحيان .

جاء الاقتباس من القرآن الكريم في حكايات الطفيليين اقتباسا نصيا، فالطفيلي يقتبس الآية القرآنية، ويفككها من سياقها الذي وضعت فيه، ويقوم بتركيبها في سياق مغاير تماما هو سياق دنيوي، ويتلاعب بالمعنى، لذا فالتفكيك والتركيب تعد من أهم آليات الطفيلي في توظيف النص القرآني .

لا يقتصر اقتباس الطفيليين للقرآن الكريم عند حدود التفكيك والتركيب، بل يمكننا أن نستشف بعضا من ملامح عالم الطفيليين من خلال هذا التوظيف القرآني، وهذا ما كشفته نقوش خواتمهم التي نقش الطفيليون عليها

أجزاء من آيات قرآنية، تعبر بشكل صريح أو ضمني عن عالم الطفيليين، وطريقة عيشهم، وطقوس الأكل لديهم، وحيلهم الى غير ذلك .

وبما ان عالم الطفيلي يدور حول محور واحد وهو الطعام، فهولا يبالي من تفسير بعض آيات القرآن الكريم على وفق مذهب التطفيل، فالطفيلي على معرفة دقيقة بالخطاب القرآني وتفسيره، وهو يحاول من خلال هذه المعرفة ان يصوغ تفسيرا له خصوصيته في عالم التطفيل، وهذا يدلُّ على أن كل شيء في هذا الكون يخضع لعالم الطفيلي الذي يتمحور حول الطعام حتى وان كان مقدسا .

الهوامش

---

(1) لسان العرب ، مادة "طفل".

(2) م.ن ، مادة "طفل" .

(3) نثر الدر في المحاضرات ، للآبي ، 2/ 186.

(4) لسان العرب ، مادة " طفل"

(5) ينظر : م.ن ، مادة " طفل" .

(6) م.ن ، مادة "طفل".

(7) م.ن ، مادة " طفل" ،

(8) ينظر: التطفيل وحكايات الطفيليين ، للخطيب البغدادي ، 47. وأخبار الأذكياء ، لابن الجوزي، 136-137. ونهاية الأرب ، للنويري، 3/ 298. والتذكرة الحمدونية ، لابن حمدون ، 108.

(9) فقه اللغة وأسرار العربية ، 183.

(10) ينظر: رسالة آداب المؤاكلة ، 17-60.

(11) موسوعة الكنايات العامية البغدادية ،عبود الشالجي ، 287/2.

(12) ينظر: البخلاء ،78.

(13) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، 307/1.

(14) ينظر: التطفيل وحكايات الطفيلين ، 20.

(15) ينظر:أدب الطفيليين التأصيل والخصائص العامة ،د. مزاحم مطر حسين ، مجلة مركز دراسات الكوفة ، مج1 ، الاصدار 18 لعام 2010 ،64.

(16) جمال الدين بن نباتة (686-768هـ) : أبو بكر جمال الدين بن شمس الدين محمد بن نباته الفارقي الأصل المصري المولد الأديب الناظم الناثر ، تفرد بلطف النظم وعذوبة اللفظ وجودة المعنى ، أما نثره فإنه الغاية في الفصاحة سلك منهج القاضي الفاضل وحذا حذوه . ولد بمصر في زقاق القناديل على عهد الملك المنصور قلاوون ومات فيها . قضى شطرا من حياته في صحبة العلماء والادباء والشعراء ، حتى اصبح من زعماء الشعر وامراء . له ديوان شعر كبير ، والعديد من المؤلفات منها (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) ، وكتاب (تلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج)وغيرها . ينظر: الوافي بالوفيات ، 1/ 234وما يليها ، وسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، 5-17. وخزانة الادب ، لابن حجة الحموي، 2/ 124. وثمرات الاوراق ، للحموي ، 358-395. الاعلام ، للزركلي ، 8/ 6.

[17] الوداعي (640–716هـ) : علاء الدين علي بن المظفر الكندي الشهير بالوداعي ، من أشهر الادباء في توظيف التورية ، وهو (اشهر من قفا نبك في نظم التورية ، بل هو امرؤ قيسها وكنديها 9 انتقل من حلب الى دمشق ، وعاش 46 سنة . ينظر: خزانة الأدب ، 2/ 555.

[18] خزانة الأدب ، 2/ 556.

[19] م.ن ، 2/ 561، 565، 568.

[20] موسوعة الكنايات العامية البغدادية ، 287/2.

[21] ينظر: بناء النص التراثي ، دراسات في الأدب والتراجم، د. فدوى مالطي دوغلاس، 92 هامش رقم 66.

[22] ينظر: أدب المهمشين في العصر العباسي ، دراسة في ضوء النقد الثقافي ، د. نورس إبراهيم عبد الهادي ، 216–232 و280–286و356–357.

[23]طفيل بن زلال: طفيل العرائس ، ويقال له طفيل الأعراس ،رجل من أهل الكوفة من بني غطفان ، ويقال إنه من موالي عثمان بن عفان (رض) . وكان يتبع الأعراس فياتيها من غير أن يدعى اليها ، وهو أول من فعل ذلك ، واليه ينسب الطفيليون . ينظر: البخلاء، 78. وثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، 108. والتطفيل وحكايات الطفيليين ، 20. وأخبار الاذكياء، 142. والتذكرة الحمدونية ، 108.

[24]عثمان ابن دراج الطفيلي :من أبرز زعماء الطفيليين ، من أهل حران ، قدم الى بغداد ، وكان في زمن المأمون ، وله شعر مليح ، وأدب صالح. ينظر : الاغاني ، 169/16–170. والتطفيل وحكايات الطفيليين ، 71–72. فوات الوفيات ، 439/2–440. والتذكرة الحمدونية ، 110.

[25] بُنان : اختلف في اسمه ، فقيل عبد الله بن عثمان ، وقيل علي بن محمد ولقبه "بُنان" من أشهر الطفيليين ذكرا وأبعدهم صيتا وله في التطفيل وحدوده ورسومه وسننه ما ليس لغيره واورد البغدادي كثيرا من أخباره ، ينظر : نثر الدر ، 2/ 183–185. التطفيل وحكايات الطفيليين ، 87 –93. التذكرة الحمدونية ، 108–109.

[26] ينظر: التطفيل وحكايات الطفيليين ،83.

[27] ينظر: التطفيل وحكايات الطفيليين ، 134.

[28] م.ن ، 134–135.

[29] شرح مقامات الحريري ، للشريشي ، 2/ 201. والعقد الفريد ، لابن عبد ربه ، 7/ 228، 236.

[30] نهاية الأرب في فنون الأدب ، 3/ 309.

[31] ينظر :أدب المهمشين في العصر العباسي ، ،216–217.

[32] ينظر : رسالة آداب المؤاكلة ، 61.

[33] التذكرة الحمدونية ، 9/ 87.

[34] م.ن ، 9/ 113.

[35] ينظر :أدب المهمشين في العصر العباسي ، 394–396.

[36] مجتمع الف ليلة وليلة ، محمد جاسم الموسوي ، 323.

[37] ينظر: بلاغة النادرة في الأدب العربي ، د. سليمان الطالي ، 24–35.

[38] ينظر: م.ن ، 27.

[39] ينظر: م.ن ، 9 ، 75، 256–257.

[40] ينظر: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، محمد العمري ، 106.

(41) ينظر: بلاغة النادرة ، 197.

(42) التطفيل وحكايات الطفيليين ، 108-109.

(43) م.ن ، 135.

(44) م.ن ، 158-159.

(45) م.ن ، 131.

(46) مسند أبي داود ، رقم: 3741.

(47) صحيح مسلم ، رقم 2117.

(48) التطفيل وحكايات الطفيليين ،126-127. و أخبار الاذكياء ، 142-143. محاضرات الادباء ، 558/2. ثمرات الاوراق ، 180-181.

(49) نثر الدر ، 2/ 172.

(50) سورة الكهف ، الآية ، 62

(51) الاقتباس من القران الكريم ، للثعالبي ، 1/ 24.

(52) الاقتباس من القران الكريم في الشعر العربي ، عبد الهادي الفكيكي ، 7.

(53) ينظر: الاقتباس من القران الكريم في الشعر العربي ، 7-8 .

(54) ينظر: الحجاج عند الطفيليين ، د. احمد علواني ، 89.

(55) ينظر: بلاغة النادرة ، 200.

(56) ينظر: م.ن ، 201.

(57) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب ، 889/2.

(58) الإتقان في علوم القران ، للسيوطي ، 1/ 316.

(59) ينظر: معجم آيات الاقتباس ، حكمت فرج البدري ، 19 .

(60) ينظر: سيميائية الانسان الناقص ، 447.

(61) ينظر: م.ن ، 448.

(62) سورة هود، جزء من الآية 79.

(63) التطفيل وحكايات الطفيليين ، 116-117، وأخبار الاذكياء ، 239.

(64) سورة هود، 77.

(65) التبيان في تفسير القرآن ، للطوسي ، 41/12.

(66) ينظر: الحجاج عند الجاحظ ، بحث في المرجعيات النصية والآليات ، هيثم سرحان ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، الكويت ، صيف 2011 ، ع/ 5 السنة 29 .

(67) سورة طه، الآية ، 84.

(68) نثر الدر ، 2/ 176.

(69) ينظر: التطفيل وحكايات الطفيليين ، 149.

(70) سورة طه، الآيتان ، 83، 84.

(71) جوامع الجامع ، الطبرسي ، 16/ 495.

(72) ينظر: سيميائية الإنسان الناقص ، 447.

[73] سورة المائدة ، الآية 114.

[74] التطفيل ، 79. ومحاضرات الادباء ، 2/ 559.

[75] ينظر: التبيان في تفسير القران ، 18/ 463.

[76] سورة المائدة ، الآية 114.

[77] بناء النص التراثي ، 86-87.

[78] البقرة ،163.

[79] يس، 14.

[80] يس ، 14.

[81] البقرة ، 26 .

[82] المجادلة ، 7.

[83] الكهف ، 22.

[84] الملك ، 3.

[85] الأنعام ، 143.

[86] النحل ، 48.

[87] البقرة ، 196.

[88] يوسف ، 4.

[89] التوبة ، 36.

[90] الأنفال ، 65.

[91] الصافات ، 147.

[92] التطفيل وحكايات الطفيليين ، 106 – 107. وبرواية أخرى في نثر الدر ،2/ 184-185.وأخبار الاذكياء ، 242.

[93] الصافات ، 147.

[94] ينظر: العدد في القرآن الكريم ، لطائفه ومسائله ، د. عبد الرحمن سعود ، 54-57.

[95] جوامع الجامع ، 1/ 170.

[96] سيميائية الإنسان الناقص ، 448.

[97] ينظر: جوامع الجامع ، 3/ 134.

[98] م.ن ، 3/ 134.

[99] ينظر: الحجاج عند الطفيليين ، 96-102.

[100] الصاحب بن عباد (326-385هـ):أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني ، أوحد زمانه ، وفريد عصره في البلاغة والفصاحة والشعر ، أخذ الأدب عن أحمد بن فارس اللغوي ، وعن ابي الفضل بن العميد ، وغيرهما.قال عنه الثعالبي " هو صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان .." أستوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة ، ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه . ولد في الطالقان ، وتوفي بالري ونقل الى اصفهان ودفن بها ، وكان شاعرا مترسلا مع ولع شديد بالسجع حتى في الكلام فضلا عن الكتابة ، . له تصانيف منها ، " المحيط في اللغة " و"الكشف عن مساوئ شعر المتنبي " ينظر: يتيمة الدهر 225/3. المنتخل، 304-305. والفهرست ، 150. معجم الأدباء ، 2/ 662-703. وفيات الأعيان ، 228/1- 233. والأعلام 18/2.

[101] البقرة ، 35.

[102] البقرة ،57.

[103] البقرة ،58.

[104] البقرة ،60.

[105] نثر الدر ، 2/ 188- 193.

[106] ينظر: الحجاج عند الطفيليين ، 105.

[107] ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، للثعالبي ، 147ونثر الدر ،2/187-188.

[108] ينظر: ثمار القلوب ، 146.

[109] الرعد ، 35 .

[110] الرعد ، 35 .

[111] التبيان في تفسير القران ، 6/ 260.

[112] الكهف ، الآية 62.

[113] الكهف ، 62.

[114] جوامع الجامع ، 2/ 425.

[115] ينظر: ثمار القلوب ، 146.

[116] المدثر ، 28 .

[117] المدثر ،الأيتان ، 26، 27.

[118] ينظر: جوامع الجامع ، 674/3.

[119] الخلال : العود الذي يتخلل به ، وأصله من إدخال الشيء في خلال اليء وهو وسطه . والمقصود هنا العود الذي تخلل به الأسنان لإخراج ما بقي من المأكول بينها . ينظر: لسان العرب ، مادة (خلل) .

[120] ينظر: ثمار القلوب ، 146.

[121] الإسراء ، 60.

[122] تفسير الطوسي ،6/ 494.

[123] سورة الدخان ، 43.

[124] ينظر: تفسير الطوسي ،6/ 494.

[125] الصافات ، 68 .

[126] ثمار القلوب ، 146.

[127] ينظر: تفسير الطوسي ،8/ 503-504. وجوامع الجامع ، / 167.

[128] الكهف ، 103.

[129] ثمار القلوب ، 146.

[130] م.ن ، 146.

[131] التبيان في تفسير القرآن ، 7/ 97.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، (ت911هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، اعتنى به وعلق عليه : مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق –سوريا ، ط1، 2008.
2. أخبار الأذكياء أخبار الأذكياء ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي القرشي البغدادي (ت597هـ) ، بعناية : بسام عبد الوهاب الجابي ، دار ابن حزم للطباعة والنشر / بيروت –لبنان ، ط1، 2003.
3. الأغاني ، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت356هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس ، د. إبراهيم السعافين ، الأستاذ بكر عباس ، دار صادر / بيروت.
4. الاقتباس من القرآن الكريم ، لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق: ابتسام مرهون الصفار ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط1، 1992.
5. البخلاء ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ) ، حقق نصه وعلق عليه: طه الحاجري ، دار المعارف ، 1963.
6. التبيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، (ت 460هـ) ، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي دار احياء التراث العربي .
7. التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم ، لأبي بكر أحمد الخطيب البغدادي ، ت(463هـ) ، بعناية : بسام عبد الوهاب الجابي ، دار ابن حزم ، د. ت .
8. التذكرة الحمدونية ، لأبن حمدون ، (ت562هـ) ، تحقيق : احسان عباس ، وبكر عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1996.
9. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، لأبي منصور الثعالبي (ت429هـ) ، تحقيق: محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار المعارف / مصر .
10. ثمرات الأوراق ، لتقي الدين أبي بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي (ت837هـ) صححه وعلق عليه : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مكتبة الخانجي / مصر ، ط1، 1971.

11. جوامع الجامع ، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، (ت548هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ط3، 1424هـ .
12. خزانة الأدب وغاية الأرب ، لأبن حجة الحموي ، (ت837هـ) ، تقديم وتحقيق : د. محمد ناجي بن عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط1 ،2008.
13. رسالة آداب المؤاكلة ، الشيخ بدر الدين محمد الغزي ، (ت 984هـ) ، تحقيق : عمر موسى باشا ، منشورات الجمل ، ط1 ،2008.
14. سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، جمال الدين بن نباته المصري ، (ت768هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، بيروت .
15. شرح مقامات الحريري شرح مقامات الحريري ، لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي(ت 619هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية / صيدا –بيروت، 1998.
16. صحيح البخاري ، للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، (ت256هـ) ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، طبعة جديدة مضبوطة ومصححة ومفهرسة ، ط1 ، 2002 .
17. صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري ،(ت261هـ) ، تحقيق ودراسة : مركز البحوث وتقنية المعلومات ، دار التأصيل ، القاهرة ، ط1، 2014.
18. العقد الفريد ، شرحه وضبطه ورتب فهارسه: أحمد أمين ، إبراهيم الأبياري ، عبد السلام هارون ، قدم له: د. عمر عبد السلام تدري ، (د. ت) .
19. العقد الفريد ، وبهامشه زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني ، طبع بالمطبعة العامرة الشرفية / مصر ، 1316
20. فقه اللغة وأسرار العربية ، لأبي منصور الثعالبي ، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه : الدكتور ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت ، ط2، 2000.
21. فوات الوفيات ، والذيل عليها ، محمد بن شاكر الكتبي (ت764هـ)، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر / بيروت .
22. لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت711هـ) ، دار المعارف / مصر .
23. المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: جاد المولى وآخرين ، مكتبة دار التراث / القاهرة ، ط3 .

24. المستطرف من كل فن مستظرف ، الإمام الشيخ شهاب الدين أحمد الأبشيهي (ت 850هـ) وبهامشه كتاب ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ، مكتبة توفيق الكتبي بميدان الأزهر الشريف / مصر ، 1933.
25. مسند أبي داود الطيالسي ، سليمان بن داودبن جارود ، (ت204هـ) ، تحقيق : د. محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية ، بدار هجر ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، 1999.
26. معجم الأدباء ، إرشاد الأريب الى معرفة الأديب ، ياقوت الحموي الرومي (ت626هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي / بيروت– لبنان ، ط1، 1993.
27. المنتخل في تراجم شعراء المنتحل ، لأبي منصور الثعالبي ، لشارح المنتحل ومصحح روايته : أحمد أبو علي ، طبع بالمطبعة التجارية بالإسكندرية .
28. نثر الدُّرّ في المحاضرات ، لأبي سعد منصور بن الحسين الآبي (ت421هـ) ، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية / بيروت–لبنان، ط1، 2004.
29. نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، (ت733هـ) ، تحقيق : الدكتور علي بو ملحم ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان .
30. الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ) ، تحقيق: أحمد الأرناؤط ، تزكي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي / بيروت –لبنان ، ط1، 2000.
31. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (ت681هـ) ، حققه: د. إحسان عباس ، دار صادر/ بيروت .
32. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت429هـ) شرح وتحقيق : الدكتور مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية / بيروت– لبنان، ط1، 2000.

ثانيا : المراجع

33. أدب المهمشين أدب المهمشين في العصر العباسي من القرن الثاني حتى القرن الرابع الهجري، دراسة في ضوء النقد الثقافي، د. نورس إبراهيم عبد الهادي، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2019.
34. الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي (ت 1396هـ–1976م) ، دار العلم للملايين / بيروت ، ط5، 2002.

35. الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي ، عبد الهادي الفكيكي ، منشورات دار النمير للنشر والتوزيع ، سوريا –دمشق ، ط1، 1996.
36. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، د. محمد العمري ، افريقيا الشرق ، ط2، 2012.
37. بلاغة النادرة في الأدب العربي ، د. سليمان الطالي ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ط1، 2015.
38. بناء النص التراثي ، د. فدوى مالطي دوجلاس ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، 1985.
39. الحجاج عند الطفيليين ، د. أحمد علواني ، التنوير للطباعة والنشر ، مصر ، ط1، 2015.
40. سيميائية الإنسان الناقص سيميائية الإنسان الناقص في النثر العربي القديم، د. نسرين السنوسي، الدار التونسية للكتاب / تونس، ط1، 2017.
41. العدد في القرآن الكريم لطائفه ومسائله ، د. عبد الرحمن سعود إبداح ، دروب للنشر والتوزيع ، عمان ، 2016.
42. مجتمع الف ليلة وليلة ، محمد جاسم الموسوي ، مركز النشر الجامعي ، 2000.
43. معجم آيات الاقتباس ، حكمت فرج البدري ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1980.
44. موسوعة الكنايات العامية البغدادية ، تأليف: عبود الشالجي ، دار الكتب ، بيروت–لبنان ، ط1 ، 1983.

ثالثا: البحوث والدراسات

1. أدب الطفيليين ، التأصيل والخصائص العامة ، د. مزاحم مطر حسين ، مجلة مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة ، مجلد 1، عدد/ 18 ، 2010 .